أُختـــاه . .

أمان علي الطنطاوي

كلّما أمسكت بقلمي لأكتب .. أحسست بالألم يملأ قلبي .. والدمعات تفيض من عيني .. كـــدت أقـــول : وا حسرتاه .. بأيّ ظرف انطلق قلمي ليكتب ، لكنّني أقف لأتساءل : ترى هذا يحقّ لي أن أتحسّر ؟

لم أعد أعرف علام أتحسّر ولأيّ شيء أفرح .. علام أحزن .. ولأيّ شيء أسرّ ، وممّ أخـــاف وعلـــى مـــاذا أخاف .. هل أخاف القتل أم الموت ؟! لا الموت يخيف .. ولا القتل يرهب .. المخيف هو موت الشعور البـــشريّ ، الرهيب هو موت الضمير الإنسانيّ .. هو موت القلب .. موت النفوس .. أمّا الروح فهي خالدة لا تمـــوت .. أمّـــا العقيدة فهي إن شاء الله ثابتة لا تتزحزح

وكلّما سمعت تأوّهات أمّي المفجوعة في ابنتها أقول لها : أماه كفكفي دموعك فروحها خالدة في الجنّة ناعمة .. أمّاه .. لا تبك ، لقد كانت متعبة فأراحها الله .. وكانت مريضة فعافاها الله .. ولا تحسبي يا أمّي أنّنـــا سننـــسى .. أجل سنأكل ونشرب وننام .. لكنّنا لن ننسى .. سنمضي في خضمّ الحياة ونعيش ونعمل .. لكنّنا لـــن ننـــسى .. سنتحدّث ونتكلّم وقد نبتسم أو نضحك .. لكنّنا لن ننسى ..

كلّما أشرق نور صبح جديد .. سنذكرها

وكلّما دعانا داعٍ للجهاد .. سنذكرها

سنذكرها يا أمّاه .. في كلّ تصرّف يصدر عنّا .. سنذكرها

لو وجدت نفسي أتعلّق بقشور الحياة وأهتمّ بها .. سأذكرها

فكيف ننسى ؟ .. سنذكرها دوماً يا أمّاه

هل ننسى التضحية .. أم ننسى العطاء ؟ ..

فقد كانت أختي الحبيبة .. أختي الغالية .. ينبوعاً للعطاء

كانت ابتسامة طويلة .. ورضى دائما .. وعطاء مستمرّا .. فهل ننسى ؟ ..

لا .. لن ننسى .. حتى لو تتابعت الشهور ثمّ السنوات .. لن ننسى .. سنحكي عنها لأولادنا .. سأقول لهـــم : كانت لكم خالة ، وكان اسمها بنان ، وكانت سيرتها عظيمة ، وكانت ميتتها شهيدة .. مضت شهيدة علـــى درب الجهاد .. و لم تكن الشهيدة الوحيدة لكنّها كانت أختي

إنّها أختي .. أختي التي لم تمت وإنّما كرّمها الله عزَّ وجلَّ بالشهادة ..

﴿ **وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ** ﴾ [البقرة : ٥٤]

أختي التي لم يسكت صوتها عن إعلان الحق ولن يسكت صوتها

أختي التي سيبقى صوتها يرنّ على لسان كلّ أخت مسلمة

أختي التي سيظلّ جهادها مستمراً عبر نضال كلّ أخت مسلمة

لم يفرقّ بيننا الموت بل جمع بيننا الهدف نفسه

﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ** ... ﴾ [الأحزاب : ٢٣]

كلّنا في طريق واحد .. كلّنا على الدرب سائرات ، بل سائرون رجالاً ونساءً وأطفالا .. الدرب الذي ســـارت عليه أختي نحن عليه نسير ، والغاية التي سعت إليها أختي نحن إليها نسعى .. إمّا نصر أو شهادة

أختاه .. حبيبتاه .. يا من رحلت دون كلمة وداع

أختاه .. يا من كان لك السبق في كلّ شيء .. وها أنت سبقت في إحراز الشهادة ، هنيئاً لك منـــزلك في الجنّة .. هنيئاً لك بلقاء الله عزَّ وجلّ

أختاه لطالما قصّرت في الكتابة لك فيما سبق ، لكنّ من حقّك عليّ الآن أن أكتب لك .. من حقّك على كـــلّ أخت مسلمة أن تكتب لك

سأكتب يا أختي .. سأكتب بأحرف من نار .. لأقول :

أختاه أختاه .. يا من كنت نعم الأخت

أختاه .. يا من كنت نعم البنت البارّة

أختاه .. يا من كنت زوجة عظيمة .. صابرة مجاهدة

أختاه على دربك سنسير وبخطاك سنحتذي

عرفتك أختاً محبة .. عرفتك صابرة مجاهدة

أختاه .. إنّ الطريق الذي بدأت به لم ينته ، والمشوار الذي مضيت فيه حتى دفعت روحك في سبيله .. لن يتوقف الطريق ماض .. والمشوار مستمرّ

كلّنا بنان .. كل ابنة مسلمة ستكون إن شاء الله بنان

وكلّ أخت مسلمة ستكون بنان .. وكلّ أمّ مسلمة ستكون بنان

بنان .. يا مثالاً في التحدّي والصمود

بنان .. يا مثالاً في الإقدام والشجاعة

بنان .. يا مثالاً في الكفاح والنضال

سنكون كلّنا بنان .. ونضالك سيستمرّ

لن يسكت باستشهادك صوت الحق

لن يسكت برحيلك نفير الجهاد

وسنمضي سواء شاء أعداء هذا الدين أم لا ..

إليك يا أختي أهدي كلماتي .. إليك يا بنان الحبيبة .. وروحك الغالية تحلّق بيننا

يا من نلت الشهادة وأكرمك الله عزَّ وجلَّ بها .. ما الذي كسبه أعداء الله ؟ ..

لئن أبعدوك عن عيوننا .. فستظلّ صورتك في نفوسنا وستكبر الصورة وستتضّح مع كلّ صبح جديد

لئن أسكتوا صوتك .. فسيظلّ الصوت يرنّ في آذاننا واضحاً عاليا .. صوت الحق لا يموت .. صوت الحـــق لا يقتل .. صوت الحق سيظلّ يعلو ويعلو حتى يسيطر على كلّ الأصوات

أختاه .. ماذا أقول لك والكلمات تتدفّق في فكري والصور تتدافع أمام ناظري

أختاه .. صورتك الرائعة التي كنت أراك عليها في طفولتي ، صورة الحبّ والحنان والعطاء المتجدّد أمامي لا تمّحي

لطالما أعطيتني من حبّك وحنانك واهتمامك وفهمك واستمررت بالعطاء حتى شاء الله لك أن ترحلـــي وســـط دموعي ودموعك .. ما زلت أذكرك تغادرين بيتك الأوّل في دمشق وكان طفلك وليداً على ذراعك ودموعـــك في عينيك .. بكيت وبكيت معك .. لأنّني أحببتك أختاً حنونا .. أحببتك أختاً كبيرة ألجأ إليها وقت الصعاب .. بكيتِ وقال لك أبي :

يا بنان إنّ الإنسان يرضى بالواقع ويحمد الله على كلّ ما ييسّره له وما يكتبه له

قلت : لكنّك تعرف يا أبي .. أنا أحب وطني .. أحب بلدي وأهلي

لكنّك رحلت وتركت كلّ شيء ومضيت من بلد إلى بلد ، من وطن إلى وطن ، من بيت إلى بيت ، لم تستقرّي بعد ذلك أبدا .. ولم أرك باكية لمغادرة بيت بعد ذلك أبدا .. حفظت الدرس جيّدا .. كلّ ما يأتي من الله خـــير .. ورضيت بكلّ ما قسمه الله لك .. حتى في محنتك الأخيرة .. في مرضك الأخير وتوجّعك ومصابك ما شكوت يوماً ولا حتى لأمّي وأبي

ناضلت وكافحت دون ضيق أو تذمّر

والآن لا .. لن أبكي أنا .. بعد أن رحلت آخر رحلة إلى أعظم منـــزل .. إنّه منـــزل في الجنّة فهـــل أبكـــي ؟ رأيتك تبدلين بيتك كلّ مرة وأنت تبتسمين فهل أبكي أنا ؟

أختاه .. سأظلّ أذكرك .. ولن أنساك أبدا .. بل لن ننساك جميعا .. لا لن ننسى

لن ننسى الأخت الحبيبة

لن ننسى الأخت المؤمنة الصابرة

وسنظلّ نقول : أنتم السابقون إن شاء الله ونحن اللاحقون

أختاه .. أذكرك .. أذكر كلماتك ونصائحك ووصاياك التي لن أهملها إن شاء الله

أذكرك في تحدّيك

أذكرك في إصرارك

أذكرك في ثباتك على الطريق

أذكرك في غضبتك للحق يكاد يضيع .. لكيلا يضيع الحق

أختاه .. رحلت وتركت عيوناً دامعة .. وقلوباً دامية .. وألسنة كثيرة تنادي : وا أختاه .. وا أختاه

أختاه .. لست وحدي أختك .. لست أنا وأخواتك الثلاثة وحدنا أخواتك .. أخواتك في كلّ مكان .. أخواتك في كلّ بقعة من العالم يقلن :

أختاه .. أختاه في الإسلام .. أختاه في العقيدة .. أختاه في الجهاد .. لقد كنت رائدة عظيمة حقـــا .. وســـتظل سيرتك العطرة خالدة على الأيام .. وستصاحبك الدعوات بعد الدعوات

وستصاحبك الوعود :

نحن على الدرب سائرون .. نحن على الدرب ماضون

الموت لا يفرّق بين المسلمين .. الموت لا يفرّق بين المؤمنين